يكن يساوي عشرين جنيهاً منذ ثلاثين سنة يساوي الآن مئة جنيه والفدان الذي كان ايجارهُ ثلاثة جنيهات منذ ثلاثين سنة يبلغ ايجارهُ الآن عشرة جنيهات

وسبب هذه الزيادة في الثروة العمومية وفي ايراد الحكومة هو طرق الاصلاح الذي تمَّ في القطر المصري اي اصلاح الري والصرف والسكك وتسهيل كل وسائل النقل وهذا هو الامر الثاني الذي يجب على الحكومة العثمانية ان تهتم بهِ وهي تهتم باستتباب الامن وتخفيف الاثقال عن عاتق الاهلين فاذا فعلت ذلك في اليمن وفي كل ممالكها فعشرون سنة او ثلاثون تنسينا كل ايام الظلم والانحطاط الماضية

المرأة والامة

من خطبة للسيدة نبوية موسى القتها في الجامعة المصرية

اني وفاء بوعدي السابق اتكلم اليوم عن تاريخ المرأة في العصور الخالية اجمالياً ثم اشرح احوالها في بعض الامم لنرى كيف كان للاهتمام بشأنها دخل عظيم في تقدُّم الامة ولنرى اننا نحن المصريات مقصرات فيما يجب علينا في ترقية شأنها. لو كانت هذه الترقية قاصرة علينا لا تفيد غيرنا لتقاعدنا عنها حتى لا ينسب الينا حب الذات ولكنها ترقية تعم الامة بنسرها لتخول نصفها في الحياة الحقيقية بعد ان كان كالعضو الاشل في جسمها قد يعوق غيرهُ من الاصلاح فتقاعُدنا عنها جهل بحقوق ابنائنا جهل بما لوطننا علينا من الواجبات. ولقد قال السير هنري مين (Henry Maine) الانجليزي الشهير ان الفرق العظيم بين مدنية الرومان ومدنية الهنود الفاسدة يرجع الى ان الرومانيين كانوا يهتمون بشأن المرأة ويسعون في تحريرها اما الهنود فكانوا يبالغون في استعبادها والتضييق عليها

ولا عار علينا مما نحن فيهِ الآن من الجهل والخمول فقد كان كل النساء كذلك وانما العار ان يعمل غيرنا من النساء ونكسل نحن فيتقدمن ونتأخر حتى لقد اتسعت المسافة بيننا وبينهنَّ. ولقد كان نساء اوربا منذ قرنين تقريباً اسوأ منا حالاً وما زلن يعملن حتى اصبحن على ما نعلمهُ من حالهنَّ الآن اما نحن فقد تأخرنا عن اسلافنا الا اننا ولله الحمد قد افقنا من ذلك السبات الطويل فاصبحنا احسن من امهاتنا حالاً وهذا ما يجعلني آمل فيما ارجوهُ من الاصلاح لنا في المستقبل

كانت المرأة في الازمان الغابرة مهملة خاملة لا شأن لها فكانت تحت سلطة الرجل يتحكم

فيها ما شاء وكان يعدها من المتاع فيلهو بها ويغار عليها ان يراها غيره او ان يلمسها الهواء فلم يكن يعتبرها شخصاً كاملاً ولو اعتبرها كذلك لوثق بها ثقة الصديق بصديقه وكان لها من نفسها على نفسها رقيب ولكنه كان يطعن في ذمتها ويغار عليها غيرة عمياء كما يغار الصبي على لعبته من ان يمسها غيره ولهذا اجتهد الرجل في اخفائها عن العيون فانكمشت في زوايا البيت ولم تتعد اعمالها حتى اذا خرجت منه تردت بما يسترها عن الانظار . فهذا الحجاب او الستر لم يكن قاصراً علينا نحن المسلمات بل كان مألوفاً في كثير من الممالك الاوربية وغيرها الا انه لم يكن على هذا الشكل المعروف عندنا الآن

كان اهتمام الرجل باخفاء زي المرأة من الاسباب التي جعلتها تبالغ في تحسين شكلها وتنافس في ذلك غيرها لعلمها انه مطمع انظار الرجال ولقد علمت من مثل هذه المعاملة ان الرجل يقدر شكلها فوق كل شيء ولهذا اجتهد في اخفائه عن العيون فمالت الى الزينة سعياً منها في ارضاء الرجل وقد شغلتها هذه الزينة عن النجاح في امور كثيرة حتى ادى ذلك احياناً الى تشويه خلقتها الطبيعية سعياً وراء ما تظنه زينة لها . ويختلف هذا النظر باختلاف البلاد فالمرأة الصينية تهتم بالزينة اكثر من غيرها حتى انها تغير شكل اسنانها الطبيعي كما تتلف قدميها بلبس حذاء صغير من الخشب منذ طفوليتها ليضغط عليهما فلا تنبان ظناً منها ان المرأة لا تعد جميلة لطيفة الا اذا كانت صغيرة القدمين ولهذا نرى ان الصينية قد لا تستطيع المشي لصغر قدميها فهي عاجزة عن قضاء حاجاتها واصلاح شأنها . وهذا على ظني من ضمن الاسباب التي ساعدت على خمول الامة الصينية على اتساع ملكها وحذقها في صناعة النقش مع ان اختها اليابان قد فاقت جميع الامم الشرقية وطبق ذكرها الآفاق فقهرت الروسيا على نخامتها واخذت منها بورآرثر كما اخذت من الصين منشوريا . وهي اخت الصين في الاصل والصناعة وانما اهملت الصين شأن النساء ولم تعدهن الا للزينة . اما اليابان فهي على ضيق املاكها امة نشيطة قد اقتدت باوربا في تعليم النساء واعدادهن للاعمال حتى لقد خففت المرأة اليابانية من زينتها وزاحمت الرجال في دور العلم ومعامل الصناعة

وكل منا تعلم ما كانت ولا تزال تتحمله العزيبات والقرويات في مصر من الآلام الشديدة في عملية الوشم اذ يدخلن في مسام الجلد مادة خضراء بواسطة ابر منضم بعضها الى بعض ليصبغن الجلد باللون الاخضر كما تفعل هذا الحبشيات بلثة اسنانهن . تتحمل النساء كل هذه الآلام مع الصبر ولا يستفدن منها الا تشويه منظر الجلد . كل هذا تضحيه المرأة في سبيل الزينة

وكانت نساء الروسيا يلبسن الحجاب بالمعنى المعروف عندنا اليوم فلما تولى الملك الامبراطور بطرس الاكبر امر بترك هذه العادة فرفعت النساء الحجاب وترك الرجال الملابس الشرقية ومن ثم اخذت الروسيا في النمو والاتساع الى ان وصلت الى ما هي عليه الآن. وقد تولى الملك بعد بطرس الاكبر عدد من النساء وفي ايامهن انضم الى الروسيا كثير من الولايات الصغيرة

اما الهنود فكانوا يبالغون في استرقاق المرأة حتى كان من جملة عاداتهم الوحشية ان المرأة اذا مات زوجها احرقت نفسها يوم وفاته وهذا مما يدل على انهم كانوا يعتقدون ان المرأة انما خلقت ليتمتع بها الرجل حتى اذا مات وجب ان تفارق الحياة على اثره وهو نهاية حب الذات والاستبداد. وكانت نتيجة هذا انحطاط امم الهنود واستعباد الامم الغربية لهم. فلم ينتج تغير الحال الاجتماعية في الروسيا فجأة ما انتجته محافظة الهنود على استعباد النساء من سوء العاقبة. وعلى حقائق التاريخ يمكن ان تقاس نتائج المستقبل لا على مجرد الوهم والخيال

كانت حالة المرأة في جميع الامم السالفة على ما ذكرت من الضعف الا ان الضغط عليها وهضم حقوقها كان يختلف في بعض الجهات عن البعض الآخر فكانت حالتها في اوربا احط منها في جزيرة العرب وذلك قبل الاسلام بزمن يسير واستمرت الحال كذلك الى ما بعد ظهوره فكانت المرأة الاوربية تحت سلطة الرجل لا تتصرف في شيء مدة حياته حتى ولا في اموالها الخصوصية ولا يصرح لها القانون بالوصاية على اولادها بعد موته فكانت خاضعة لمحكم القانون

كان هذا شأن اوربا عند ما نزل القرآن الشريف واباح للنساء التصرف في اموالهن والوصاية على اولادهن والتمتع بجميع الحقوق المدنية فكانت المسلمات ارقى شأناً من النساء الاخرى وما زلن يتأخرن ويتقدم غيرهن حتى اصبحن على ما نراه الآن وما ذلك الا لانقطاعهن للجهل والفراغ. واني اضرب لحالة المرأة في الشرق وحالتها في الغرب مثلاً بتاريخ المرأة العربية والانكليزية

لم تكن المرأة العربية في الزمن السابق منحطة عن اختها الغربية بل كان رجال العرب يهتمون بشأنها اهتماماً عظيماً فلم يقل شاعرهم قصيدة الا وصدرها باسم زوجته او قريبته ولم يحضر فارسهم حرباً الا ونساء قومه وراء ظهره يحرضنه على الاقدام فيقدم طاعة لامرهن واظهاراً للشجاعة امامهن حتى اذا حارب ولم ينظرنه جاء يخبرهن بفوزه كما قال عنترة العبسي

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك ان كنت جاهلة بما لم تعلمي

يخبرك من شهد الوقيعة انني ... اغشى الوغى واعف عند المغنم

وقال بشر

افاطم لو شهدت ببطن خبت ... وقد لاقى الهزبر اخاك بشرا

وقال عمرو بن كلثوم

على اثارنا بيض حسان ... نحاذر ان تفزق او تهونا

يقدن جيادنا ويقلن لستم ... بعولتنا اذا لم تمنعونا

اذا لم نحمهن فلا بقينا ... بخير بعدهن ولا حيينا

فاين هذا العصر من عصرنا وعصر امهاتنا اذ يعد الرجل اسم ابنته او زوجته عاراً فيتحاشى ذكره

كانت نساء العرب بمثابة قواد يشجعن الجيوش على الاقدام اثناء الحرب ويشتغلن بمعالجة الجرحى الى ان اتت الليل الى هذا الحد ثم من طويل وقد اشتغلت نساء العرب بكل ما اشتغلت به رجالهن فكان منهن الشاعرات والمحاربات والتاجرات كالسيدة خديجة وغيرها حتى كان منهن الملكات ايضاً ومن اشهرهن الزبّاء التي قتلت خزيمة الابرش ملك الحيرة اخذاً بثار ابيها

وبالجملة فالمرأة العربية كانت في مقدمة نساء عصرها حتى اذا جاء الاسلام زادها رقياً على رقيها وسوّى بينها وبين الرجال في كثير من الحقوق والواجبات

وكانت النساء في الحرب التي قامت بين علي ومعاوية يحرضن الرجال ويتطوعن للملاحظة الجرحى مما يدل على ان الاسلام لم يحرم عليهن العمل ولا التداخل حتى في الامور السياسية فكانت الامة بتمامها تميل الى العمل والسعي وراء ما يرفع شأنها حتى اذا استولى العرب على بلاد الاندلس كانوا مثال النشاط والاجتهاد للممالك الاوربية وقامت نساؤهم بكثير من الاعمال حتى اجرين العمليات الجراحية العظيمة وهو ما تسعى اوربا في الحصول عليه الآن

وما زالت المرأة العربية تشعر بالحياة الحقيقية الى ان قضى الله على الامم العربية بالانحطاط فحملت العقول واستبد بهم الاعداء فاستبدوا هم بنسائهم واخطأوا في فهم القرآن نفسه فأولوه بما شاءوا وصادف هذا التأويل هوىً في النفوس فاتبعوه على بعدهِ عن الصواب على انهُ لم يأتِ في القرآن الشريف نص بحرمان المرأة من العلم والعمل وخمولها هذا الخمول ولا قضت العادات الشرقية كما يزعمون عليها بالسجن في جوف المنازل ولولا تلك الاوهام لكانت الشرقيات اولى بالسبق الى معالي الامور من غيرهن لما لهن من التقدم في ذلك

ولست اضرب صفحاً عن حالة المرأة المصرية قبل دخول العرب في مصر بل اقول اجمالياً انها لم تكن منحطة عن غيرها من نساء ذلك الزمن ويدل على ذلك انتقالها في سلك الملك فالمرأة المصرية الآن احط من اسلافها سواء في ذلك انتسبت الى العرب او الى فراعنة مصر في حين ان المرأة الغربية تتقدم مع الزمن فهي على العموم ارقى من امهاتها وتلك سنة الدهر في الارتقاء الطبيعي لم تعكس الا بالنسبة لنا نحن المصريات وهذا تاريخ المرأة الانكليزية يشهد لي بما اقول

كانت المرأة الانكليزية كغيرها من نساء اوربا خاضعة لسلطة الرجل محرومة من كثير من حقوقها المدنية لا تتناول من الاعمال الا اعمالاً محصورة كالتعليم الوالطي والتمريض والخياطة والولادة فالتفت كثير من فضلاء الرجال الى تحريرها وكان من تكلم في هذا الشأن السير هنري مين وقد دافع عن المرأة دفاعاً حسناً كما دافع عنها في مصر المرحوم قاسم امين بك وهو اول مصري فكر في العواقب

ومن ثم التفتت نساء انكلترا الى العناية بشأنهن فقامت مسز براونج (Mrs. Browing) ونشرت مقالة سمتها اروورا لي (Aurora Leigbs) انتصرت فيها للنساء وشهد لها بالبراعة وحدة الذكاء نفس معارضيها اذ قال المستر ادوارد جيرالد (Edward Gerald) عند موتها الحمد لله لم تعد اروورا ثانياً ولست انكر انها امرأة على ذكاء غريب ويا حبذا لو التفتت هي ونظيراتها الى شؤون المطبخ . وتاقت الانكليزيات بعد ذلك الى دخول معاهد العلم ونيل الشهادات العالية واول كلية فتحت بابها للنساء كانت في شمال انكلترا الا انها لم تصرح لهن بتلقي الدروس العالية مع الرجال بل كلفت سيدتين بالقاء محاضرات نسائية لهن وكان ذلك سنة ١٨٢٠ . وما اشبه هذا بحال جامعتنا اليوم فقد قامت بما عساه ان يوصلنا الى ما وصل اليه الانكليزيات في مدة تزيد عن ٩٠ سنة

طلبت النساء بعد هذا ما هو ارقى من تلقي الدروس العالية اسوة بالرجال والحقن في الطب فنجحت في وجوههن بعض الكليات سنة ١٨٦٠ وفتحت كلية كمبريج ابوابها لهن سنة ١٨٨١ وتبعتها اكسفورد ثم اسكتلاندا ولندره ودبلن

ومالت النساء الى العمل فنالت اول طبيبة انكليزية شهادة الطب من الولايات المتحدة واشتغلت بها في انكلترا سنة ١٨٥٩ والحت النساء في طلب تعليمهن الطب في انكلترا نفسها فصرحت لهن الحكومة بذلك ونالت اول طبيبة شهادتها سنة ١٨٦٠ ودخل بعدها في مدرسة الطب ثلاث فتيات ونجحن نجاحاً باهراً فانعقدت اللجنة الطبية بعد هذا مباشرة وقررت عدم

قبول النساء في مدرسة الطب . الا أن هنا لم يئن هم الانكليزيات عن المطالبة بحقوقهن والسعي وراء ما اردن بالرغم من كل هذه القوانين فكن يذهبن الى الولايات المتحدة فيتعلمن الطب هناك ثم يعدن فيفتحن المستشفيات في بلادهن واخيراً وافقت الحكومة على دخولهن في جميع الامتحانات الراقية وفتح ابواب عموم الكليات في وجوههن فكان ذلك في سنة ١٨٧٦ اي منذ اربع وثلاثين سنة فقط)

هذه حال انكلترا منذ قرن تقريباً فكان يقال للمرأة اذا تكلمت في المواضيع العلمية ما لها ولذلك وكان الاولى بها ان تلتفت الى شؤون المطبخ وهو ما يقال لنا الآن . تغيرت حالهن الآن فشغلن كثيراً من المراكز السامية وكانت نتيجة ذلك رقي الامة رقياً بهر العالم . هذه تجربة جربتها انكلترا فنجحت ومن العبث ان يقال بعد هذا اننا لو قلدناها في ذلك لحل نظامنا او يقال ان عاداتنا الشرقية لا تسمح لنا بذلك بعد ان اظهرت بما تقدم اننا كغيرنا من النساء في بعض العادات القديمة وها هن قد تركن تلك العادات فكان ذلك من اسباب رقيهن ورقي امهن ايضاً

هذه اميركا الشمالية كان يسكنها الجنس الاحمر وهم قوم متوحشون لا فرق بينهم وبين الحيوانات واخص بالذكر منها الولايات المتحدة . احتلتها انكلترا فاجتهد القوم في العمل رجالاً ونساء حتى سبقوا اسلافهم الانجليز في الحضارة والعمران وساروا بالنساء الى الامام فدخلن في جميع الاعمال ادارية كانت او عملية او سياسية فمنهن القائدات والرئيسات والمهندسات والمحاميات والكاتبات ولهن الآن حق الانتخاب في بعض الولايات فكانت نتيجة رقي المرأة تقدم الامة بتمامها ولم تعقها هذه الاعمال عن الزواج او كثرة النسل كما يقال بل الاميركان الآن اول الامم حضارة وتجارة وعمراناً . يعجبني من الانكليزية حبها العمل وترفعها عن الكسل وميلها الى بساطة اللبس والاقتصاد في المعيشة والاعتناء بنظافة المنازل والاطفال . وما اسعدنا نحن المصريات لو اقتدينا بها في مثل هذه الامور واولها الميل الى العلم خصوصاً وان المصرية زكية بفطرتها . فلندفع بفتياتنا الى الاشتغال بالعلم الصحيح والعمل النافع تاركات تلك الاوهام القديمة من ترك الفتاة متفرغة والقول بانها لن تكون قاضياً او رئيس مصلحة فتلك اوهام ذهب بها الدهر ولقد اصبحت قديمة بالية تضر ولا تنفع اننا اذا حيينا الى بناتنا العمل اصلحن منازلهن بل واصلحن الامة باسرها فان العمل صيقل النفوس يجلو عنها صدأ البطالة والكسل كما تجلو الحركة صدأ الآلات المعدنية فمن كانت منا فقيرة فلتسع فيما يصلح شأنها ومن كانت غنية فلتعمل لاصلاح غيرها من الفقيرات

لست اتصح للفتاة باكثر من الالتفات الى العلم والبعد عن الكسل والفراغ وهذا كل ما يصلح حالها فان العلم يفتق الاذهان ويجعل الفتاة تشعر بما يحيط بها فتعلم عن خبرة الفرق بينها وبين غيرها من الفريات فتصلح من شأنها كما تعرف قيمتها في الحياة فتحتقر الزينة وترى من النقص تضييع الوقت خصوصاً اذا كانت مشتغلة بعمل نافع فيها وليس من يكون لهُ من نفسه دافع الى الشيء كمن ينصح لهُ غيرهُ به فقد لا يصادف قول غيره قبولاً من نفسه وقد يخطئ فهم النصيحة فيعكسها

واول دليل على ما اقول اننا اكثرنا من النصح للنساء بعدم التبرج فلم يقدمن ذلك بل ازددن في الزينة التي نهين عنها اذ احب شيء الى الانسان ما منع فنصحنا لهن بلبس الحجاب الشرعي فكانت النتيجة ان تفنن في هذا الحجاب حتى اصبح اشد ضرراً على الآداب من سابقهِ لهذا لا ارى من الحزم ان انصح للفتاة باي لبس كان ولكني اقول علموها العلم الراقي فتنصرف اليهِ عن الزخرف والزينة وترتفع عن ان تكون العوبة في نظر المارة فتظهر بمظهر الحشمة والوقار ولا يهمنا على اي شكل كان لبسها ما دام على هيئة تدل على رقي الآداب واتباع الدين الحنيف من ستر الزينة فقط

قصور القيصر

رأينا في مجلة منصي الاميركية مقالة لكاتب مشهور وصف فيها قصور المانيا وذكر في عرض الكلام اموراً فكاهية فرأينا ان نقتطف منها ما يأتي . قال الكاتب

لقيصر الالمان اكثر من ستين قصراً ولذلك عجب الناس لما علموا انهُ بنى قصراً جديداً في بوزن من بولندا بلغت نفقات بنائهِ وفرشهِ اكثر من ستمئة الف جنيه . والواقع ان الذي بناهُ ليس القيصر بل حكومة بروسيا وقد بنتهُ لغرض سياسي فان بوزن قصبة الجانب الذي اخذتهُ بروسيا من بولندا لما اقتسمتها مع روسيا والنمسا . ولا يزال اهالي بولندا يحنون انفسهم بالاستقلال فرأت حكومة بروسيا انها اذا بنت قصراً للامبراطور هناك اقام فيهِ احد ابنائهِ واظهر اهبة الملك فقصد تلك المدينة كثيرون من اهل الثروة والجاه فكثر انفاق الاموال فيها وراجت الاشغال والمتاجر وكثر كسب الناس فيتعلقون بالعرش الالماني ولا يعود الالمان يخشون من انتقاضهم اذا نشبت الحرب بينهم وبين روسيا في وقت من الاوقات